المحاضرة الثالثة: التيارات الكبرى في الفكر الأنثروبولوجي

1) النظرية التطورية:

ويتزعمها ثلاثة أقطاب: **تيلور إدوارد برنتTylor Edward Burnett***، **مورغان هنري لويسMorgan Henry-LEWIS***، **فريزر جيمسJames George Frazer***، ولقد ارتبطت هذه النظرية بالعالم البيولوجي شارل داروين والفرنسي "لامارك" خلال القرن التاسع عشر، وامتد أثرها إلى العلوم الإنسانية والاجتماعية كالفلسفة والإثنولوجيا[1].

ترتكز النظرية التطورية على اعتبار المجتمع بمثابة الجسم الحي، ويتعرض لتطور كما يتطور الجسم الحي كذلك، وتضيف النظرية أن الصفات المعنوية مثل العادات والتقاليد والثقافة والأعراف

---

* **ادوارد برنت تايلور** (1832–1917) أنثروبولوجي بريطاني أصبح أستاذاً للأنثروبولوجيا في جامعة أكسفورد منذ عام 1896 وظل بها حتى تقاعده في عام 1913. أسهم إسهاماً كبيراً في دراسة الثقافة وكان أحد رواد الاتجاه التطوري، وقال بالنظرية البيولوجية، وأسهم في تطوير الدراسات المقارنة للأديان.

***لويس هنري مورغان** (1818–1881) محام و أنثروبولوجي أمريكي و من رواد المدرسة التطورية اهتم في بداية حياته بدراسة هنود الايروكيز وغيرهم من سكان الشمال الشرقي الأمريكي الأصليين. حاول مورغان إعادة تركيب صورة المجتمعات الإنسانية وتصنيفها بغية التعرف على تاريخ المجتمع الأوروبي والمراحل التي مرَّ بها وصولاً إلى ما هو عليه في عصره. وقد تأثر مورغان بكتاب باخوفن "حق الأم" وبأبحاث لافيتو

***فريزر جيمس** (1854–1941)مفكّر الاسكتلندي وعالم الانثروبولوجي، ولد لأبوين متديّنين من أنصار المذهب الكالفني. وهو إلى الاهتمام بالكتاب المقدّس ودراسته. لهذا انصرف إلى دراسة اللغة الآراميّة وكتب عن "الفولكلور في العهد القديم" كتابا في ثلاثة أجزاء جعلها دراسة مقارنة في الدين والخرافة والقانون. وكان فريزر يعتبر الكتاب المقدّس شكلا من أشكال الأدب الراقي الذي ينشد التسامي بالجنس البشري، ولم يتعامل معه بحرفيّته إنّما احترز من الأحداث التي وردت فيه ولم ينظر إليها على أنّها سجلّ تاريخي علمي. درس بجامعة جلاسكو ثم التحق بجامعة كمبريدج كان لأستاذه روبرتسون سميث (Robertson Smith) بكمبريدج أثر فعّال في توجيهه نحو الاهتمام بالانثروبولوجيا. ;يعتبر فريزر امتدادا لتفكير تايلور (Taylor) ومورجان (Morgan)، في الإيمان بوحدة المعرفة الإنسانيّة وتطوّرها وفق مراحل ثابتة وواضحة. ولهذا كان فريزر يحاول فهم الحضارات القديمة انطلاقا من مقارنتها بثقافة مجتمعات القرن التاسع عشر. فـ"الشعوب البدائيّة" في نظر فريزر تمثّل المراحل الأولى والمبكّرة لنشوء الحضارة الإنسانيّة. وقد تجلّى هذا مثلا في كتابه "الغصن الذهبي" الذي عمل فيه على فهم أسطورة الإلهة ديانا (Diana) في نيمي (Nemi) جنوب إيطاليا. ويندرج هذا البحث في سياق اهتمام فريزر العام بدراسة المعتقدات والعادات والطقوس الدينيّة والسحريّة لدى الشعوب "البدائيّة". ويعدّ فريزر أوّل من قدّم جردا شاملا للأساطير والطقوس عند مختلف شعوب العالم.من مؤلفاته: الخوف من الموتى في الدين البدائي، آلهة السماء، الفولكلور في العهد القديم، الغصن الذهبي، الإنسان، الله والخلود..

[1] مصطفى تليوين، مدخل عام في الأنثروبولوجيا، دار الفرابي، بيروت، ص77.

تورث كما تورث الصفات البيولوجية وهو ما يساعد في تحسين تقنيات تنظيم المجتمعات من خلال مؤسساتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية[1].

ويعتبر **لويس مورغان Morgan** أول من قسم المجتمع إلى ثلاث مراحل أساسية هي:

1. **مرحلة التوحش**
2. **مرحلة البربرية**
3. **مرحلة الحضارة**

وإجمالا يمكن القول؛ أن النظرية التطورية ترى أن المجتمع البشري هو عبارة عن مجموعة من الأنظمة التي تتغير وتمر بمراحل تطورية معينة، تعبر كل مرحلة منها عن انتقال من حالة أقل رقيا إلى حالة أكثر رقيا، أي من البساطة إلى التعقيد، مثلما هو الحال مع تطور الأجزاء العضوية في الكائن البيولوجي[2].

2) النظرية الوظيفية:

الوظيفية هي النظرية التي تقوم بوجوب دراسة الظواهر (الثقافية) من حيث الوظيفة التي تؤديها. ومن التعريفات الأخرى «تعريف مالينوفسكي الذي يقول إن الوظيفة «هي نظرية ماهية الطبيعة البشرية، وكيفية عمل المؤسسات الإنسانية، وما تفعله الثقافة من أجل الإنسان في جميع مراحل التطور». ويعرف هالووِيل Hallowell الوظيفية فيقول: «إن جوهر الوظيفية كما أراه – هو النظر إلى أية ظاهرة أولاً على أساس ارتباطاتها ذات الأهمية داخل سياق معين أو كل بنائي»[3].

ازدهرت الوظيفية في الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا الاجتماعية في فرنسا وإنجلترا بصفة خاصة، وبدرجة أقل في ألمانيا. وفضل ممثلو هذا المذهب الفرنسيين – خاصة موس Mauss وليفي شتراوس – استخدام مصطلح وظيفة على نحو مشابه لاستخدامه في الرياضيات، أي على أنه «علاقات مستمرة بين بعض الظواهر، حيث يوجد تفسيرها». وقد شرح موس مفهوم الوظيفة عندما صاغ نظريته عن «الظواهر الاجتماعية الكلية»

[1] مصطفى تليوين، مرجع سبق ذكره، ص 90.

[2] المرجع نفسه.

[3] راد كليف براون مقال منشور في موقع أنتروبوس، متاح على الرابط: https://2u.pw/VILVV0i تم الاطلاع عليه يوم 2024/02/21 على الساعة 23:57.

حيث يقول إن كل شيء في المجتمع هو – بالدرجة الأولى – وظيفة، ويؤدي وظيفة؛ وكذلك عندما أكد أنه ليست هناك اجتماعية لا تكون جزءًا لا يتجزأ من الكل الاجتماعي. أما في ألمانيا فيعد تورنفالد Thurnwald أبرز ممثلي الوظيفية، حيث سبقت أبحاثه الميدانية الوظيفية أبحاث كل من مالينوفسكي وراد كليف براون. ويتضمن الاتجاه الوظيفي عند ثورنفالد اتجاهًا تاريخيًا، ونجد الوظيفية الألمانية المحدثة تتميز إلى حد كبير بهذا المزج بين الوظيفية والتاريخية[1].

يمكن فهم النظرية الوظيفية من خلال فهم اتجاهين أساسين فيها، فنظرية "مالينوفيسكيMalinowski" ركزت على تكيف المجتمع مع محيطه، أي أن الظواهر الاجتماعية الجزئية تؤدي وظائف جزئية معينة في إطار نسق من الظواهر لتؤسس أو تبني وظيفة كلية، وهي تكيف المجتمع مع محيطه، فالمؤسسات الاجتماعية كالمدرسة أو الجامعة تؤدي وظيفة جزئية هي التربية والتعليم، وهذه الوظيفة تتكامل مع وظائف أخرى لتحقيق الوظيفة الكلية وهي تكيف المجتمع مع المحيط، ولقد اعتبر مالينوفسكي من أكبر مؤسسي الأنثروبولوجيا العلمية وذلك من خلال الثورة التي قام بها في مجال البحث الميداني والتطبيقي، حيث استعمل في أبحاثه الميدانية نظام السؤال Le Questionnaire لتكون نتائجه أكثر علمية[2].

وحاول **راد كليف براون Radcliffe-Brown** أن يطور الأنثروبولوجيا الاجتماعية إلى علم طبيعي يقوم على الدراسة العلمية المقارنة للأنساق الاجتماعية عند الشعوب البدائية. أسهم إسهاماً بناءً في دراسة البناء الاجتماعي وأنساق القرابة، كما قام براون بدراسة المجتمع بمعناه البنيوي الذي يشير إلى الترابط الداخلي الذى يربط بين البنية الاجتماعية وبين صيرورة الحياة الاجتماعية. عليه فأن استخدام مفاهيم مثل صيرورة Process ، وبنية Structure، ووظيفة Function ما هي إلا محاور بنى عليها براون نظريته في تفسير الأنساق الاجتماعية. تقوم فكرة الوظيفة بمعناها البنيوي عند براون على أساس أن البنية تؤلف مجموعة من العلاقات التي تربط بين تلك الوحدات البنيوية بدرجات متفاوتة. فالأسرة عند براون هي بمثابة وحدة بنيوية والعلاقات الأسرية القائمة بين أفرادها هي علاقات بنيوية تستحيل رؤيتها في عموميتها في أية لحظة لكن يمكن ملاحظتها.

[1] راد كليف براون، مرجع سبق ذكره.

[2] كريمة شعبان، مرجع سبق ذكره، ص 38.

أن أهمَّ ما يميز تفسيرات براون وتحليلاته الوظيفية هو تركيزه على البنية الاجتماعية ووظيفتها وهو ما أدى إلى انبثاق اتجاه جديد في الأنثروبولوجيا صار يعرف بالاتجاه البنيوي الوظيفي[1].

3) النظرية الانتشارية.

يعود أصل تسمية النظرية الانتشارية إلى طبيعة موضوعها ومقاصدها المعرفية والمنهجية والإيديولوجية، فهو اتجاه أنثروبولوجي يعنى بمتابعة النماذج والظواهر الثقافية والاجتماعية التي ظهرت في منطقة جغرافية وثقافية واجتماعية ومن إبداع شعب بعينه ثم انتشرت وشاعت متعدية حدود فضاء نشأتها الأصلي وذلك نتيجة لتفاعل عدد من الأسباب الثقافية والسياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية[2]، يعتبر فرانس بواس Franz Boas و**إليوت سميث Eliot Chmidt** من أهم ممثلي هذا الاتجاه، ويلخص **هودجن Hodgen** النظرية في ثلاث قضايا عامة هي[3]:

- ✓ **أولاً:** أن هناك اتجاهًا طبيعيًا ودائمًا في الثقافة الإنسانية إلى أن تنتشر العناصر الثقافية أو تشع من مركز معين، وبنفس المعدل دائمًا.
- ✓ **ثانيًا:** يميل هذا المركز – الذي يعد نقطة إنتاجية ثقافية متفرقة – إلى أن يصبح مسرحًا لظهور أشكال أكثر حداثة وتحل هذه الأشكال، في أثناء عملية الإشعاع، محل الأشكال القديمة بشكل طبيعي.
- ✓ **ثالثًا:** يجب تفسير العناصر التي توجد في أي لحظة في الحزام الهامشي لمنطقة انتشار جغرافي معينة – بواسطة مؤرخ الثقافات البدائية التي لا تاريخ لها – على أنها قديمة نسبيًا. في حين تعد العناصر الموجودة في المركز أو قريبة منه حديثة نسبيًا».

[1] راد كليف براون، مرجع سبق ذكره.

[2] كريمة شعبان، المرجع نفسه، ص 34.

[3] نظرية الانتشار الجغرافي، من موقع أنتروبوس، متاح على الرابط: https://2u.pw/CQbBDXx اطلع عليه يوم: 2024/02/22 على الساعة 0:20.

4) النظرية البنيويةStructuralism:

يمكن تعريف البنيوية ذات الاشتقاق اللاتيني Structura التي تعني "البنية" كنظرية في الانسانيات او الدراسات الثقافية، ويمكن وصفها بشكل اكثر دقة كمقاربة في فروع المعرفة بصورة عامة، تستكشف العلاقات بين العناصر الجوهرية أو الرئيسية في اللغة والأدب والحقول الاخرى التي تنسحب عليها "البنى" و"الشبكات" العقلية واللغوية والاجتماعية والثقافية العالية، ويقدم المعنى من خلال هذه الشبكات عن طريق شخص معين أو نظام معين او ثقافة معينة[1]. وتعبر البنية عن مجموعة من العناصر المنسجمة والمتجانسة فيما بينها، وإذا حدث تغيير في أحد عناصرها كان الخلل في مجموع البنية، ولقد ارتبط الاتجاه البنيوي باسم العالم الأنثروبولوجي **كلود لفي ستروس*** بعدد من أعماله التي انصبت أغلبها ضمن الاتجاه[2].

حلت البنيوية محل الوجودية التي كانت سائدة في الساحة الفكرية بأطروحاتها خلال خمسينيات وستينات القرن الماضي[3]، غير أنها سرعان ما تراجعت، ثم عاودت الظهور في النصف الثاني من القرن العشرين حيث بدأت مجددا كحقل اهتمام اكاديمي في حدود العام 1958 وبلغت ذروتها في ستينيات هذا القرن وسبعينياته ، وتطورت لتصبح المقاربة الأكثر شيوعا في الحقول الأكاديمية المعنية بتحليل اللغة والثقافة والمجتمع، ويرجع الفضل لسوسير في اعادة ظهور البنيوية ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال حلقة دراسية في علم اللغة العام أقامها زملاؤه بعد وفاته، اعتمدت على ملاحظاته والتي سميت بنظرية بـ " العلاماتية ". لقد ركزت هذه المقاربة على

---

[1] ناطق خلوصي، البنيوية وإنتاج المعنى، موقع أنتربوس متاح على الرابط: https://2u.pw/TiAgJA3 تم الاطلاع عليه يوم: 2014/02/27 على الساعة 13:52.

* كلود ليفي ستراوس (1908–2009): عالم اجتماع وأنثروبولوجي فرنسي، يعتبر فيلسوف البنيويّة أو المنهج البنيوي. أثر في أجيال من الباحثين، اقترح فهما جديدا للآليات الاجتماعية والثقافية، من خلال تطبيق التحليل البنيوي على العلوم الإنسانية. كما وضع ستراوس –الذي اشتغل أستاذا فخريا بـ "كوليج دو فرانس" (Collège de France) وأسس الأنثروبولوجيا الحديثة، وكان الأنثروبولوجي الأول الذي انتخب عضوا في الأكاديمية الفرنسية في مايو/أيار 1973، ترك عالم الاجتماع ستراوس إرثا ثقافيا كبيرا، ضم عشرات المؤلفات والحوارات والمقالات البحثية، التي تنوعت بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا والإثنولوجيا والفلسفة وغيرها، ومن أبرز مؤلفاته: الحياة العائلية والاجتماعية لهنود النامبيكوارا، البنى الأولية للقرابة، العرق والتاريخ، الأنثروبولوجيا البنيوية (ج1 وج2) الطوطمية اليوم، أسطوريات: النيئ والمطبوخ، أسطوريات من العسل إلى الرماد، أسطوريات أصل أدب المائدة، أسطوريات: الإنسان العاري، من قريب وبعيد.

[2] كريمة شعبان، مرجع سبق ذكره، ص 40.

[3] رياض طهير، البنيوية، متاح على الرابط: https://moodle.univ-ouargla.dz/course/info.php?id=4790&lang=fr تم الاطلاع عليه يوم: 2024/02/27 على الساعة 13:59.

تفحّص كيفية ارتباط عناصر اللغة ببعضها تزامنيا بدلاً من ارتباطها بالظواهر اللغوية، وقسمت علامات اللغة إلى دال ومدلول. وكانت هذه المقاربة مختلفة تماماً عن المقاربة التي سبقتها والتي ركزت على العلاقة بين الكلمات من جانب وما تدل عليه من جانب آخر[1].

يمكن حصر مجموع الأسباب والخلفيات التاريخية التي أدت إلى ظهور المنهج البنيوي فيما يلي[2]:

1. لقد كانت الفلسفة الوجودية مع جان بول سارتر السائدة في أنحاء أوربا من خلال بحثها عن كيفية تحرير الإنسان وتحرره من مختلف العوائق والعراقيل الاجتماعية والنفسية، وخاصة بعد نهاية الحرب العالمية الأولى التي سببت دمارًا شاملا للإنسانية، والتي كانت محل القلق البشري، ولهذا وجدت الوجودية المناخ المناسب قصد الازدهار والنمو، وأصبحت بذلك بمثابة الخطاب الذي يسعى إلى تحرير الإنسان من عبوديته وتحريره من القلق الذي ولد من جوف تلك المآسي البشرية، ولكن على الرغم من كل هذا، ووصول الإنسان الأوربي إلى نوع من الاستقلالية والتحرر، بدأت معالم هذه الفلسفة (أي الوجودية) في التلاشي، مما فتح المجال أمام المدرسة البنيوية التي كانت تسعى إلى محاولة الرقي بالنوع الإنساني، والسعي من أجل إسعاده والتخلي عن كل أسباب شقائه.
2. كان ظهور المنهج البنيوي أيضا مرتبط بمدى الوعي الإنساني آنذاك، وثورته على مختلف المذاهب الفكرية التي تدعو إلى الجمود والركود، ومن ثمة الشعور بعقم تلك المذاهب الفلسفية أو الفكرية التي كانت بمثابة عائق أمام ازدهاره مما اضطره إلى البحث عن سبل جديدة قصد تحقيق الرقي بالنوع الإنساني، ولذلك ظهر المنهج البنيوي كأساس جديد يسعى إلى تحقيق طموح وآمال الإنسان الأوربي.
3. يسعى المنهج البنيوي بكل روافده إلى تحقيق تطور ورقي العلوم الإنسانية، ومحاولة محاكاتها لبقية العلوم الطبيعية الأخرى، وذلك من منطلق أن المناهج السابقة على المنهج البنيوي كانت تتحاشى العلاقات الإنسانية فيما بينها، واهتمامها فقط بالمجردات والتعالي، واهمالها للعلاقات التي تربط بين البشر، ومن ثمة ظهرت البنيوية كمنهج لمحاولة النهوض بالعلوم الإنسانية ومحالة مواكبتها لمختلف العلوم الطبيعية الأخرى، ويظهر لنا ذلك بجلاء في قول **جان لاكروا:**" البنيوية هو ذلك المنهج الذي ساعد العلوم الإنسانية في هذا العصر على إحراز تقدم عظيم"

[1] ناطق خلوصي، مرجع سبق ذكره.

[2] رياض طهير، مرجع سبق ذكره.

4. المنهج البنيوي لا يرتبط بمجال معين فقط، بل يمكن تطبيقها في شتى مجالات المعرفة الإنسانية، وعلى هذا الأساس ظهرت مجالات مختلفة لهذا المنهج؛ في مجال اللغويات نجد **فردينان دي سوسير** ونجد " **ليونارد بلومفليد**" الذي ألف كتاب "اللغة". وفي مجال الأنثروبولوجيا نجد الفيلسوف الفرنسي "**كلود ليفي شتراوس**" الذي ألف مجموعة كتب في هذا المجال نذكر منها: "المجتمعات البدائية"، "النيء والمطبوخ"، وكتاب "العقل البدائي"، "الأسطوريات".

وبموجب النظرية البنيوية في الانثروبولوجيا والانثروبولوجيا الاجتماعية، يتم تقديم المعنى ويعاد انتاجه ضمن ثقافة ما من خلال ممارسات وظواهر ونشاطات مختلفة تؤدي عملها كنظام للتعبير. لقد قام كلود ليفي شتراوس في دراساته في خمسينيات القرن العشرين بتحليل ظاهرة ثقافية تشمل الميثولوجيا والنَسَب، وبالإضافة الى هذه الدراسات قدّم كتابات أكثر تركيزاً لغوياً حيث استخدم الفارق الذي قال به سوسير بين اللغة والتلاعب بالكلمات في بحثه عن البنى الذهنية الاساسية للعقل البشري قائلاً ان البنى التي تكوّن القواعد المعقدة والخفية للمجتمع يعود أصلها الى العقل وهي تعمل في دواخلنا بدون وعي منا[1] .

يرى **ليفي شتراوس** أن مهمة العالم الأنثروبولوجي تنحصر في بناء النموذج الملائم لموضوعه، وهو نموذج يمثل ضربا من التأويل البشري للعلاقة الموجودة بين الطبيعة والثقافة، وكل ما يقدمه ليفي ستراوس في كتاباته عن البنيات الأولية للقرابة وسلسلة كتبه المسماة "أسطوريات"[2].

وثمة مفهوم آخر تمت استعارته من مدرسة براغ لعلم اللغة حيث قام **رومان جاكوبسون** والآخرون بتحليل الاصوات تحليلاً يقوم على حضور وغياب مظاهر معينة (مثل الاصوات المهموسة في مقابل الاصوات المجهورة) .وقد ضمّن شتراوس ذلك في مفاهيمية البنى الكلية أو العامة للعقل. وكان شتراوس قد تعرف على **جاكوبسون** خلال عملهما سوية أثناء الحرب العالمية الثانية وتأثر ببنيويته وبالتراث الانثروبولوجي الامريكي معا، وقد تفحّص أنظمة النَسَب من وجهة نظر بنيوية ونشر كتاب "الأنثروبولوجيا البنيوية" في أواخر خمسينيات القرن العشرين[3] .

[1] ناطق خلوصي، مرجع سبق ذكره.

[2] محمد مهران رشوان، مقدمة في الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1984، ص 141.

[3] ناطق خلوصي، مرجع سبق ذكره.

أصبحت الانثروبولوجيا البنيوية مهملة في أوائل ثمانينيات القرن الماضي لعدد من الأسباب منها أنها وضعت افتراضات لا يمكن اثباتها عن البنى الكلية للعقل البشري، كما يرى بعض المؤلفين من أمثال **ايريك وولف** أن الاقتصاد السياسي والكولونيالية يجب أن يكونا في طليعة الانثروبولوجيا بشكل أكبر ولا يبتعد بعض المنظّرين الأنثروبولوجيين ممن ينتقدون رؤية **ليفي شتراوس** للبنيوية، عن الأساس البنيوي الجوهري للثقافة الانسانية. فجماعة **البنيوية النشوئية الاحيائية،** على سبيل المثال قالوا ان نوعاً من المؤسسات البنيوية ينبغي وجوده لأن كل البشر يرثون نظام البنى العقلية نفسه وقد اقترحوا نوعاً من الانثروبولوجيا حيث يمكن وضع اسس تفسير علمي أكثر تكاملاً للتماثل والاختلاف الثقافي، حاولت **ما بعد البنيوية Post Structuralism** أن تصبح متميزة عن البنيوية، وكانت **التفكيكية Deconstruction** محاولةً لإثارة الخلاف مع التفكير البنيوي، في هذا السياق تري **جوليا كرستينا** أن البنيوية (والشكلية الروسية أيضا) هي نقطة البداية "ما بعد البنيوية"[1].

أسئلة للمناقشة:

- كيف انعكست التصورات المعرفية ما بعد البنيوية على المجالات الفكرية الأنثروبولوجية؟
- فسر أثر الإسهامات المعرفية للنظريات العلمية على الفكر الأنثروبولوجي في البيئة العربية.

[1] ناطق خلوصي، مرجع سبق ذكره.